طُغْتِكِين في شهر رمضان فقتله، وحُمِلَ إلى مقابر الباب الصَّغير فدفن بها، واستولى شهابُ الدِّين محمود على أمواله، وذهبت رياسة بني الصُّوفي.

سمع نصر بن إبراهيم المقدسي، وغيره، وروى عنه ابنُ عساكر وغيره.

هبة الله بن أحمد بن عمر، أبو القاسم الحريري[١]

ولد يوم الخميس يوم عاشوراء سنة خمسٍ وثلاثين وأربع مئة ببغداد، وقرأ القرآن بالرِّوايات وأقرأ، وسمع الحديث الكثير.

وتوفي يوم الخميس ثاني جُمادى الأُولى عن ستٍّ وتسعين سنة وشهور مُمَتَّعاً بسَمْعه وبَصَره وجوارحه، وصلَّى عليه عبدُ الوهَّاب الأَنْماطي، ودُفِنَ بالشُّونيزية في تُرْبة الأَنْماطي.

وكان صحيحَ السَّماع، صالحاً دَيِّناً، ثَبْتاً، كثيرَ تلاوة القرآن والذِّكْر، وهو آخر من حَدَّث عن ابن زَوْج الحُرَّة أبي الحسن، [فحدث عن أبي الحسن هذا أبو بكر الخطيب وأبو القاسم هذا][٢]، وبين وفاتيهما ثمانٍ وستون سنة.

السنة الثانية والثلاثون وخمس مئة

فيها بَعَثَ السُّلْطان مسعود من هَمَذَان إلى بغداد كأساً مختوماً إلى البقش السِّلاحي ليشربه، فأقام الكأسُ مختوماً خمسة أشهر لم يشربه، ثم جَمَعَ المغاني، وأوقد الشُّموع والقناديل والسُّرُج في جميع محالِّ بغداد [ليلاً][٣] ثلاثة أيام، وظهرت المعازف والمنكرات [والفضائح][٢] حتى شربه، فلم يضرَّه. فلما دخل السُّلْطانُ بغداد قبضَ عليه، وكان نائبه بالعراق، وولَّى بغداد بِهْروز الخادم.

وفيها قَدِمَ أهلُ حلب وبزاعة؛ الرِّجالُ والنِّساء والصِّبْيان، فكسروا المنابر، ومنعوا النَّاس من الصَّلاة في الجوامع بسبب ما جرى عليهم ببزاعة من الرُّوم.

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧١ ، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٦٨-٦٩ ، و«الكامل»لابن الأثير: ١١/ ٥٤ ، و«معرفة القراء» للذهبي: ٢/ ٩٣٨-٩٣٩ ، و«الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٢٢٦ ، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٩٣-٥٩٤ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في العبارة سقط أثبتناه ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ٧١ ، وانظر «مشيخة ابن الجوزي»: ٧٠ ، و«الكامل»: ١١/ ٥٤ .

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها تزوَّج مسعود امرأتين إحداهما سفري خاتون بنت دُبَيْس بن صَدَقَة، وأمها بنت عميد الدولة بن جَهِير، وكانت في غايةِ الحُسْن؛ جاءت إلى خاتون المستظهرية تشكو ما أصابها وما أُخذ منها، وبلغه حُسْنها، فتزوَّجها. والثانية: ابنة عمه قاروت بك، وكانت في غاية الحُسْنِ أيضاً، وغلَّق البلد أياماً، فظهرتِ المنكرات.

وفيها جمع الرَّاشد العساكر، وقوي أمره، وقُتِلَ.

وفيها جاء ملك الرُّوم إلى حلب، وخرج إليه الأحداث، فقاتلوه، فرجع، وجاء إلى المَعَرَّة، فنهب وقَتَلَ وأسر، وجاء إلى شَيْزَر، فَنَصَبَ عليها المجانيق، وقاتلها أياماً، ولم يظفر بطائل، وأقام في أطراف حلب، وجاء زَنْكي وقد رجع ملك الرُّوم، فنازل حِصن المجدل بالبِقاع، ففتحه، وعاد إلى الشَّرْق خوفاً من الفرنج بعد أن جعل طريقه على حِمْص وحماة، فلم يظفرمنها بطائل.

وفيها استوحش بزواش من الأمير شهاب الدِّين محمود [صاحب دمشق][1] فخرج بزواش عن دمشق، وكان شريراً مُفْسداً، جاهلاً ظالماً فاتكاً، فأقام بظاهر البلد أياماً، ثُمَّ صَلَحَ أمره، وعاد إلى البلد، فما زال شهاب الدِّين يعمل عليه حتى قتله بقلعة دمشق بأيدي الشمسية في شعبان في قُبَّة الورد، فقتلوه، وأخرج ملفوفاً في كِساء إلى القُبَّة التي بالعُقيبة، وتُعرف بقُبَّة بزواش، فدفن فيها.

وخَلَعَ شهابُ الدِّين على الأمير معين الدِّين أُنَر، وفوَّض إليه الأمور، ولقبه أتابك، ورد إليه أمر العساكر، و[رَدَّ أمرَ][2] الحِجْبة إلى أسد الدِّين أكز.

وفيها توفي القاضي بهاء الدِّين بن الشَّهْرُزوري بحلب، فحمل إلى مشهد صِفِّين، فدفن فيه، وكان صاحِبَ هِمَّةٍ عالية، وعزيمةٍ ماضية. وكانتِ الفرنجُ قد ضايقت حلب، فرحلوا عنها بعد أن أنكى فيهم الأمير سوار وأحداثُ حلب.

وفيها تزوَّج أتابك زَنْكي بأُمِّ شهاب الدِّين محمود؛ وهي الخاتون صفوة الملك زَمُرُّد ابنة الأمير جاولي، وكان قد طلبها في السَّنة الماضية، فامتنع بزواش، وقال: وما

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤١٥.

السَّبب في أَنَّا نزيل دولة موالينا بأيدينا! فلما قُتِلَ بزواش راسل زَنْكي في هذا المعنى وهو مقيمٌ على حِمْص، فأُجيب، فَعُقِدَ العَقْد بحِمْص يوم الاثنين سابع عشرة رمضان، وتقرَّر الحالُ في تسليم حِمْص إليه، فتسلَّمها مع القلعة، وعوَّض معينَ الدِّين أُنَر بابارين. وتوجَّهت خاتون من دمشق في عسكر أتابك إليه في آخر شهر رمضان. وقيل: إنها سارت إليه في المحرَّم أول السنة الآتية، واجتمعا على حِمْص.

وفيها توفي

أحمد بن محمد بن أحمد[١]

أبو بكر الدِّيْنَوَرِي الحَنْبَلي.

تفقه على أبي الخطاب الكَلْوَذاني، وبرع في المناظرة، وكان أَسْعد المِيْهَني يقول: ما اعترضَ أبو بكر الدِّيْنوري على دليلِ أحدٍ إلا ثَلَمَ فيه ثُلْمةً.

توفي في جُمادى الأُولى، ودُفِنَ قريباً من الإمام أحمد، رحمة الله عليه.

سمعَ الحديث، وكان صالحاً ثِقَةً، أنشد: [من الطويل]

تمنيتَ أَنْ تُمْسي فقيهاً مناظراً ... بغير عَنَاءٍ فالجنونُ فُنونُ
وليسَ اكتسابُ المالِ دون مَشَقَّةٍ ... تَلَقَّيْتَها، فالعِلْمُ كيف يكونُ

أنوشَرْوان بن خالد[٢]

ابن محمد، أبو نَصر، القاشاني، الفِيْني[٣]، وفِيْن من قرى قاشان.

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧٣، و«الكامل»: ١١/ ٦٦، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٨٧، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٣٢٣، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١/ ١٩٠-١٩١، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦١، و«المنهج الأحمد»: ٣/ ١١٨-١١٩، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٩٨-٩٩.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٩/ ٣٦٥-٣٦٦، و«المنتظم»: ١٠/ ٧٧-٧٨، و«الكامل»: ١١/ ٧٠-٧١، و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ١٠٤-١٠٥ و١٤٠-١٤٢، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٦٧، و«الفخري»: ٣٠٦-٣٠٧، و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ٤٢٧-٤٢٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٥-١٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وفي «الكامل» و«الوافي بالوفيات» وفاته سنة (٥٣٣هـ).

(٣) تصحفت في بعض المصادر إلى: القيني - بالقاف.

وزر للمسترشد ولمسعود، وكان مهيباً عاقلاً، فاضلاً، جَوَاداً، وهو كان السبب في عمل الحريري للمقامات التي أنشأها، فحكى أبو القاسم عبد الله بن أبي محمد الحريري: أَنَّ والده كان جالساً في مسجده ببني حرام ـ محلةٌ من محالِّ البَصرة ـ إذ دَخَلَ شيخٌ ذو طِمْرَيْن[1]، عليه أُهبةُ السَّفَر، رَثُّ الثِّياب، فاستنطقه فإذا هو فصيحُ اللَّهْجة، حسنُ العبارة، فسأله: منْ أين الشيخ؟ فقال: من سَرُوج، فقال: وما الكُنْيةُ؟ قال: أبو زيد. قال: فعَمِلَ والدي المقامة الحَرَامية بعد قيامه من ذلك المجلس، واشْتَهَر حديثُها، وبلغ أنوشروان، فطلبها، ووقَفَ عليها، وأمر أبي أن يضُمَّ إليها أُخرى، فعمل «المقامات».

قال: وغاب أبي عن أنوشروان مُدَّة، فاستبطأه، فكتَبَ إليه أبي: [من الطويل]

أَلا لَيْتَ شِعْري والأماني تَعِلَّةٌ ... وإنْ كان فيها راحةٌ لأخي الكَرْبِ
أتدرون أنِّي مُذْ تناءَتْ ديارُكُمْ ... وشَطَّ اقترابي عن جنابِكُمُ الرَّحْبِ
أُكابِدُ شوقاً ما يزالُ[2] أُوارُهُ[3] ... يُقَلِّبُني باللَّيْلِ جَنْباً على جَنْبِ
وأَذْكُرُ أيَّامَ التَّلاقي فأَنْثَني ... لتَذْكارِها بادي الأسى طائِرَ اللُّبِّ
ولي حَنَّةٌ في كلِّ وقتٍ إليكُمُ ... ولا حَنَّةَ الصَّادي إلى البارِدِ العَذْبِ
فواللهِ لو أنِّي كتمتُ هواكُمُ ... لما كان مكتوماً بشَرْقٍ ولا غَرْبِ
ومما شجا قَلْبي المُعَنَّى وشَفَّهُ ... رضاكمْ بإهمالِ الإجابةِ عن كُتْبي
وقد كنتُ لا أخشى مع الذَّنْبِ جَفْوةً ... فقد صرتُ أَخْشاها وما ليَ مِنْ ذَنْبِ
ولمَّا سرى الرَّكْبُ العراقيُّ نَحْوكُمْ ... وأَعْوزَني المَسْرى إليكُمْ مع الرَّكْبِ
جعلتُ كتابي نائباً عن صبابتي ... ومَنْ لم يجدْ ماءً تيمَّمَ بالتُّرْبِ[4]

(١) الطِّمْر: الثوب الخَلَق البالي. «اللسان» (طمر).
(٢) في (ع) و(ج): لا أزال، والمثبت من «المنتظم» و«الخريدة».
(٣) أي حرّه.
(٤) انظر الأبيات في «المنتظم»: ١٠/ ٧٧-٧٨، وفي «الخريدة» قسم شعراء العراق: ج٤/ م٢/ ٦٠٤-٦٠٦، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وكان أنوشروان كريماً؛ سأله رجلٌ[١] خيمةً ولم يكن عنده، فبعث إليه بمئة دينار، فقال الرجل: [من المنسرح]

لله دَرُّ ابنِ خالدٍ رَجُلاً ... أحيا لنا الجُودَ بعدما ذَهَبا

سألتُهُ خيمةً أَلُوذُ بها ... فجاد لي مِلْءَ خيمةٍ ذَهَبا[٢]

توفي في رمضان، ودُفِنَ في داره بالحريم الطَّاهري، ثم نُقِلَ بعد ذلك إلى الكوفة إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السَّلام.

بَدْر بن عبد الله، أبو النَّجْم[٣]

سمع الحديثَ الكثير. وتوفي في رمضان عن ثمانين سنة، ودُفِنَ بباب حرب.

وكان سليمَ الصَّدْرِ؛ طلَبَ منه أصحابُ الحديث إجازةً، فقال: كم تستجيزون! ما بقي عندي إجازة أجيزها لكم.

البقش السِّلاحي[٤]

كان أميراً كبيراً، ناب عن السُّلْطان في المملكة، ثم توهَّم منه، فَقَبَضَ عليه، وحَبَسه بقلعة تَكْريت، ثم أمر بقَتْله، فغرَّق نفسه في دِجْلة، فأُخرج من الماء، وقُطِع رأسه، وحُمِلَ إليه.

الحسن بن يحيى بن رُوبيل[٥]

أبو محمد الأَبَّار، الدِّمَشْقي.

---

(١) هو الشاعر أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر الأرجاني، كما جاء مصرحاً به في «الفخري»: ٣٠٦، و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ٤٢٨، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٤هـ).

(٢) في (ع) و(ح): فجاد لي بل بخيمة ذهباً، ومثله في «المنتظم»: ١٠/ ٧٧، والمثبت من «الفخري»، و«الوافي بالوفيات».

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٧/ ٤٤٢-٤٤٣، و«المنتظم»: ١٠/ ٧٤، و«اللباب»: ٢/ ٢٢١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٤٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٢، ونسبته الشِّيحي، نسبةً إلى شيحة، وهي قرية من قرى حلب، وقد تصحف في «المنتظم»: إلى الشيخي ـ بالخاء.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧٤، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٢، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٢٦١-٢٦٣، و«الوافي بالوفيات»: ١٢/ ٣٠٣، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٩٧، وفيه وفاته سنة (٥٣١هـ).

كان يبيع الإِبَرَ بدمشق، وكان ابنُ الخَيَّاط الشَّاعر يقعد عنده[١]، ويتناشدان [الأشعار][٢]، ومن شعره في محيي الدِّينِ ابنِ الصُّوفي[٣]، رئيسِ دمشق: [من المنسرح]

يا محيي الدِّينِ بعدما دَثَرا ... ومُشْبِهاً في زمانِهِ عُمَرا
ومَنْ إذا ما ذكَرْتَ سِيْرَتَهُ ... سمعتَ ذِكْراً يُجَمِّلُ السِّيَرا
انْظُرْ إلى عَبْدِكَ الفقير فقد ... جَارَ عليه الزَّمانُ واقْتَدرا
وخانه سَمْعُهُ وناظِرُهُ ... من بَعدِ ما كان يَثْقُبُ الإِبَرا
وصار في السُّوقِ كالأجير وهل ... يُفْلِحُ مَنْ سارَ سِيْرَةَ الأُجَرا
ومالُهُ مَوْئِلٌ يلُوذ بهِ ... سواكَ يا مَنْ يُجَمِّلُ الوُزَرا[٤]

وكان يسكن بدَرْب صامت بدمشق، وتوفي بها، وذكر له العمادُ الكاتب في «الخريدة» أشعاراً هجا بها زوجته، [وهي شنيعة]، منها قوله: [من الخفيف]

أُغريتْ زَوْجتي بشُرْبِ العُقارِ ... أَسْكَنَتْني بجَنْبِ دارِ القِمارِ
أَطْعَمَتْني مُخَّ الحمارِ فلمَّا ... أَبْصَرَتْني قد صرتُ مِثْلَ الحمارِ
بَذَلَتْ [فَرْجَها] وصاحَتْ[٥] إلى النَّا ... سِ هلمُّوا يا مَعْشَرَ الفُجَّارِ

[وذكر أشياء من جِنْس شعر ابن الحَجَّاج][٦].

الحسين بن تلمش بن يزدمر[٧]

أبو الفوارس، التُّرْكي، الصُّوفي، البغدادي.

---

(١) قال العماد الكاتب في «الخريدة»: ١/ ٢٦١: وله دكان في سوق الأبارين يبيع الإبر، قال: ورأيت ابن الخياط جالساً على دكانه.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) هو المفرج بن الحسن، وقد سلفت ترجمته ص٣٠٢، وقد توارى عن الدكتور شكري فيصل وكاد يلامسه وهو يحاول تعيين ابن الصوفي في تعليقه على «الخريدة» قسم شعراء الشام: ١/ ٢٦١ حاشية رقم (٩).

(٤) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٢٦٢.

(٥) في (ع): بذلت فصاحت، وفي (ح): بذلت [ثم بياض] فصاح، والمثبت من «الخريدة» قسم شعراء الشام: ١/ ٢٦٢، وما بين حاصرتين منه.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وابن الحجاج: هو الحسين بن أحمد بن محمد، شاعر ماجن، توفي سنة (٣٩١هـ)، وانظر ترجمته في «وفيات الأعيان»: ٢/ ١٦٨-١٧٢.

(٧) له ترجمة في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٢.

شاعرٌ فاضل، [ذكره ابنُ السَّمْعاني في «الذيل»، وذكر مقطَّعات من شعره، منها][(١)]: [من الخفيف]

أتمنى بأن أكونَ مريضاً ... علَّها أنْ تعودَ في العُوَّادِ
فتراها عَيْني فيذهَبَ عنِّي ... ما أُقاسيه من جَوًى في فؤادي

وهذا أحسن من قول ابنِ الخيَّاط الدِّمَشْقي: [من الطويل]

أَحِنُّ إلى سُقْمي لعلَّك عائدي ... ومِنْ كَلَفي أنِّي أَحِنُّ إلى السُّقْمِ[(٢)]

وأحسن مِنْ قول القائل: [من الطويل]

يَوَدُّ بأَنْ يُمْسي مريضاً لعلَّها ... إذا سَمِعَتْ يوماً بشكوى تُراسِلُهْ

عليُّ بنُ علي بن عُبيد[(٣)]الله، أبو منصور[(٤)]

أمين الأُمناء، [ويُعرف][(٥)] بابن سُكَيْنة.

ولد سنة تسعٍ وأربعين وأربع مئة [وكان أمين الحكم على أموال اليتامى، ويلقب أمين الأمناء][(٥)]، وتوفي ليلة السبت سادس ذي القعدة [عن ثلاث وثمانين سنة][(٥)] ودُفن بالشُّونيزية، وسمع [أبا محمد الصريفيني وابن السَّراج وابن العلاف وغيرهم][(٥)] وحدَّث، وكان سَمَاعه صحيحاً، [قال جدي رحمه الله: وسمعته يقول][(٦)]: مَنْ منعَ ماله الفقراء سَلَّط الله عليه الأُمراء.

---

(١) في (ع) و(ح): شاعر فاضل، ومن شعره، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) «ديوان ابن الخياط»: ص١٤٦ .

(٣) في (ع) و(ح): عبد الله، والمثبت من (م) و(ش).

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧٥ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٨٨-٨٩ ، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٠٠ .
وابنه هو شيخ العراق الإمام عبد الوهَّاب ابن سُكَيْنة، المتوفى سنة (٦٠٧هـ)، انظر ترجمته في «السير» ٢١/ ٥٠٢-٥٠٥ .

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ح) و(ع): وكان سماعه صحيحاً، وقال: من منع... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ١٠/ ٧٥ .

عمر بن محمد بن عَمُّوية[١]

أبو حفص، السُّهْرَوَرْدي، عَمُّ أبي النَّجيب الواعظ، شيخ الصُّوفية في الرِّباط المعروف بسعادة الخادم.

توفي في ربيع الأول، ودُفِن بالشونيزية عند قبر رُوَيْم[٢].

سمع أبا محمد التميمي وغيره، وكان صالحاً.

محمد بن عبد الملك[٣]

ابن محمد، أبو الحسن، الكَرَجي[٤].

ولد سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، وسمعَ [بالكَرَج ـ بجيم ـ و][٥] بهَمذَان وأَصبهان وببغداد، وكان محدِّثاً فقيهاً، شاعراً أديباً، [وكان][٥] شافعياً، إلا أنه ما كان يَقْنُتُ في الفجر، وكان يقول: قد صَحَّ عن إمامنا الشَّافعي رحمه الله أَنَّه قال: إذا صَحَّ عندكم الحديث، وقلتُ قولاً يخالفه، فدعوا قولي. وقد صَحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنه تَرَكَ القنوت في صلاة الفجر. وكان كريم الأخلاق، وصنَّف في المذهب والتفسير.

ومن شِعْره: [من الوافر]

تَنَاءَتْ دارُهُ عَنِّي ولكنْ ... خيالُ جمالِهِ في القَلْب ساكنْ
إذا امتلأَ الفؤادُ بهِ فماذا ... يضُرُّ إذا خَلَتْ منهُ المساكِنْ

---

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٧/ ١٩٧-١٩٨ ، و«المنتظم»: ١٠/ ٧٥ ، و«اللباب»: ٢/ ٨٥ .

(٢) هو شيخ الصوفية في عصره رويم بن أحمد، وقيل: رويم بن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد البغدادي، توفي ببغداد سنة (٣٠٣هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٤/ ٢٣٤-٢٣٥ .

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ١٠/ ٣٨١ ، و«المنتظم»: ١٠/ ٧٥-٧٦ ، و«الكامل»: ١١/ ٦٦ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٨٩ ، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ١٣٧-١٤٧ ، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٢/ ٣٤٨-٣٤٩ ، و«طبقات الشافعية»، لابن قاضي شهبة: ١/ ٣٤٩-٣٥٢ ، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٢ ، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٠٠.

(٤) الكرجي: نسبة إلى الكرج - بفتح الكاف والراء والجيم في آخرها - وهي بلدة بين أصبهان وهمذان، انظر «الأنساب»: ١٠/ ٣٧٨ .

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال أيضاً: [من الطويل]

سَرَقْتُ إليها زَوْرَةً فتنقَّبَتْ فقلتُ اسْفِري ما هكذا حَقُّ مَنْ طَرَقْ
فقالتْ حجبتُ البَدْرَ عنكَ تعمُّداً لتأمنَ إنَّ البَدْرَ يَفْضَحُ مَنْ سَرَقْ

منصور الرَّاشد أمير المؤمنين[1]

قد ذكرنا خلافته[2]، وخروجه من بغداد إلى المَوْصِل، ومسيره إلى أَذْرَبيجان. وكان معه داود بن محمود، وأنَّه وَصَلَ إلى أَصبهان، واستفحل أمره.

وكَتَبَ إلى سنجر كتاباً مضمونه أنَّ الذي جرى على المسترشد إنما كان باتِّفاقٍ منه ومن مسعود، وأنَّه سوف يجد غِبَّ ذلك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[سورة فصلت: ٤٦].

فكتب إليه سنجر كتاباً بخطِّ أبي إسحاق البَيْهقي يعزِّيه في أبيه، ولم يجبه عما أشار إليه، قال: سلام على المجلس الأَسْمى، والمقرِّ الأعلى الأشرف الرَّاشدي، وصل الكتابُ العزيز الذي أَطْلَعَ مِنْ بروج الشَّرف كواكبَ الإقبال، وفجَّرَ في فضاء الإفضال ينابيع الآمال، وهيَّأَ لبابِ السَّعادة مِفْتاحاً، وأَوْجَبَ لصَدْرِ الخادم انشراحاً، فأمَّا ما أشار إليه من وفاة الشَّهيد التي غَيَّرَتْ بها اللَّيالي أحوالَها، وزُلْزلتِ الأَرْضُ زِلْزالها، وصارتْ بسببها طوالعُ الخلافة آفلة، وغصون الشريعة ذابلة، ففي كلِّ قلبٍ منها لظىً وسعير، وفي كلِّ دارٍ أَنَّةٌ وزفير، لكنَّ قضاءَ الله لا يُغيَّر، وأجله إذا جاءَ لا يُؤَخَّر، وله أُسوةٌ في احتساءِ كأسِ الشَّهادة، وارتقاء مدارجِ السَّعادة بالخُلَفاء الرَّاشدين، والأئمة المَهْديين، وذكر كلاماً بمعناه.

فلمَّا قرأ الرَّاشد كتابه يَئِسَ منه، ومضى إلى أصبهان، فأقام بها، وتوفي سابع عشرين رمضان.

واختلفوا في سبب وفاته على أقوالٍ: أحدها أَنَّه سُقِيَ السُّمَّ ثلاث مَرَّات. والثَّاني: أَنَّه قتله قوم من الفَرَّاشين الذي كانوا في خدمته.

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧٦-٧٧ ، و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ١٦٦-١٦٨ ، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ٣٣-٣٤ ، و«الكامل»: ١١/ ٦٢-٦٣ ، و«مختصر التاريخ» لابن الكازروني: ٢٢٤-٢٢٧ ، و«الفخري»: ٣٠٨-٣٠٩ ، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٦٨-٥٧٣ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) انظر ص٢٨٠-٢٨٥ من هذا الجزء.

والثَّالث: أَنَّه قتله قومٌ من الباطنية، وقُتِلُوا بعده، وكان قد داسَ بلادهم وأَخْربها، وبعثهم إليه مسعود وسنجر، فقتلوه كما قتلوا أباه.

وذكر العمادُ الكاتب [في «الخريدة»][1] ما يدلُّ على هذا فقال: تنقَّل الرَّاشد في البلاد: ديار بكر وأَذْربيجان ومازَنْدران، وعاد إلى أَصبهان، فأقام مع السُّلْطان داود ابن محمود، والبلد مُحاصر، وهناك قحطٌ عظيم، وضُرٌّ عميمٌ.

قال العماد: أذكر ونحن أطفالٌ، وقد خرجنا من أَصبهان وأقمنا بالرُّبُط عند المُصَلَّى، والعسكر قريبٌ منا، فسمعنا أصواتاً هائلةً وقت القائلة مِنْ نهار يوم الثَّلاثاء سادس عشرين رمضان [من هذه السنة][1]، فقلنا: ما الخبر؟ فقيل لنا: إنَّ الخليفة قد فتكَتْ به الملاحدة لعنهم الله. وخرج أهلُ أصبهان حُفاةً حاسرين، وشيَّعوا جِنازته إلى مدينة جَيّ، وبكوا ولطموا، ودفنوه بالجامع، وكان له الحُسْنُ اليُوسفي، والكرم الحاتمي، بل الهاشمي.

[قال][1]: وكان قد استدعى والدي صفيَّ الدِّين ليوليه الوِزارة، فتعلَّل عليه، وكانت الخِيرة فيه[2].

وبلغ الخبر إلى بغداد، فقعدوا له في العزاء يوماً واحداً، وخلَّف ببغداد نيفاً وعشرين ولداً ذكراً.

[وقال السمعاني: ومما ينسب إلى الرَّاشد][3] من الشعر: [من الطويل]

زمانٌ قد اسْتَنَّتْ فِصالُ صروفه[4] وأصبح آسادُ الكرامِ لها قَرْعى[5]
أكولتُهُ تشكو صُروفَ زمانها فليس لها مأوى وليس لها مرعى
فيا قَلْبُ لا تأسفْ عليه فربمَّا ترى القومَ في أكناف آفاتِهِ صرعى[6]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ٣٣-٣٤.
(٣) في (ع) و(ح): ومما ينسب إليه من الشعر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) استن الفرس في مضماره: إذا جرى في نشاطه ومرحه على سننه في جهة واحدة. «معجم متن اللغة»: ٣/ ٢٢٨.
(٥) القرعى جمع، مفردها القريع: وهو الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه. «معجم متن اللغة»: ٤/ ٤١٨، ٥٤١.
(٦) انظر الأبيات بنحو هذا اللفظ في «الخريدة» قسم شعراء العراق: ٢/ ٣٣-٣٤.